مراجعات

اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة

دراسة ميدانية بإشراف الدكتور سعد الدين إبراهيم

مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - حزيران (يوليو) ١٩٨٠

عرف العصر الحديث، الذي افتتحته الثورة البورجوازية الاوروبية، دخول المجتمع بكامل طبقاته وفئاته معترك الحياة السياسية اليومية، وإن اختلفت درجة المشاركة من فئة لاخرى، ومن وقت لآخر. إلا أن المشاركة العامة كانت سمة أساسية.

واعتبرت الدولة الحديثة، بشكل أو بآخر، تعبيراً عن محصلة الصراعات الاجتماعية ونقطة توازنها إلى درجة صعّدها البعض نحو أنها «فوق الطبقات». لكن هذا لا ينفي تغليبها النسبي لمصالح فئة ما على حساب الفئات الأخرى، كما لا ينفي رؤيتها، في المحصلة، كأداة قمع في أحد وجوهها. ومنعاً من رجحان الأتجاهات السلبية للدولة، التي تضمرها تركيبتها البنيوية، لجأت كافة الفئات الاجتماعية، بتنوعاتها، إلى الانتظام في تعبيرات مهنية (نقابات) وسياسية (أحزاب). لتساعد تلك الفئات نفسها ككل على التوازن مع القوة المنظمة في الدولة والمعبر عنها في مؤسساتها.

وقد شكل الاستعمار الأوروبي، في أحد وجوهه، عاملاً من عوامل دفع البلدان، التي ظلت بعيدة عن حركة العصر، نحو الدخول فيه. وبغض النظر عن تفاصيل آلية تلك العملية وآلامها، فقد كانت المحصلة أن لم يبق شعب من شعوب العالم، بعد حربين كونيتين، إلا وشملته ريح العصر. كما عبرت تلك الشعوب عن نفسها بأشكال تنظيمية، (الدولة والنقابات والأحزاب) واستخدمتها لمواجهة الاستعمار من جهة، ولبناء ذاتها الوطنية من جهة ثانية. كما سادت العالم ثقافة عامة متنوعة، عبرت عن ذاك التداخل، الذي لا تزال تفاعلاته مستمرة.

والمنطقة العربية واحدة من المناطق، التي دفعها الاستعمار نحو العصر الحديث. وترتب عن ذلك مزيج، ما زال في حالة حركة من غير وضوح لمآله. فلا الطبقات الاجتماعية فيه محددة الأبعاد، ولا الدولة تعبر عن مزيجه الاجتماعي، إلا في حدود. وأحزابه السياسية اقتصرت على تنظيم النخبة الاجتماعية المثقفة وعلى نشاطها؛ حيث عبرت عن الطبقات الاجتماعية بالنيابة من غير أن تتأكد ما إذا كانت فعلاً تعبر عن تتابع تطور تلك الطبقات، أم أنها كانت تعبيراً عن بيوتوبيا نخبوية محضة. بينما قصرت الفئات الاجتماعية العريضة في المجتمع العربي دورها على قبول ما ينوبها من الحكام والنخب (سلباً أو ايجاباً)، واقتصر تعبيرها عن رأيها على اعتماد (النكتة السياسية) أو تجديد استخدام الأمثال الشعبية في المجالات التي يسمح لها بها التعبير عن رأيها. وقادها مثقفوها (في السلطة وخارجها) عبر الشعارات العاطفية، التي عبرت عن تنوع اتجاهات أولئك المثقفين وعن ينابيع ثقافتهم. إنما لم يكلف أحد خاطره (حاكماً أو حزباً) للاهتمام